إبن خلدون وصدام الحضارات

أ.د. فوزية عمار عطية
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب
جامعة الفاتح / الجماهيرية العظمى

إبن خلدون وصدام الحضارات

الورقة المقدمة حول صدام الحضارات عند ابن خلدون ليست محاولة لاختطاف أحد مقولات الخطاب الحداثي نحو قراءة تراثية ، كما أنها ليست إعادة في كتابة التراث بنص حداثي ، هي بالأحرى قراءة متأنية لمشروع ينأي بنفسه عن حديث التأثير والتأثير للمشروع الخلدوني الذي تعددت حوله القراءات وتضاربت لدرجة التنافر.

انها وقفة تأمل إزاء تلك الصيحات الجديدة التي أفرزها العقل المعاصر المرهق بتداعيات الحاضر سياسية كانت أم اقتصادية ، وفي مقدمتها كما أرى مقولة (صدام الحضارات) لصموئيل هانتيجتون الذي تركها – في رأيي– إشكالية ناقصة منزوعة الأطراف دون تقديم حل لها ، أو بالأحرى دون تحليلها

تحليلاً دقيقا ، وبالتالي لا يمكن اعتبارها قانوناً لحركة التاريخ والحضارة كما فعل ابن خلدون الذي تجمعه مع صموئيل هانتيجتون الكثير من الروابط في مقدمتها أن كلاهما عاش في فترة انحطاط للحضارة.

فابن خلدون عاش في عصر دب فيه الوهن والضعف بعد عصر ازدهار ففي الشرق بدأ الانحلال يدب في الخلافة العباسية. وفي الغرب أيضاً بدأت الحضارة العربية الإسلامية نتيجة لضربات الفرنجة تضعف وانكمش العرب المسلمون بعد نكسة الأندلس نحو الداخل ، وأخذت دويلاتهم تدخل في صراع مزير مع بعضها البعض ، فعمت الفوضى وكثرت القلاقل وخرب العمران ودخل الجميع في حرب الجميع.

ابن خلدون واكب هذا التحول الذي أصاب الحضارة العربية الإسلامية ، وعاش في هذه الفترة. ومن هنا أراد أن يرسم صورة الوضع القائم ، الذي عاش في ظله من خلال المقدمة. ولهذا جاءت المقدمة كثمرة لهذه المعايشة والمعاينة للواقع الذي عاش فيه ، وكان شاهداً عليه ، فأراد أن يفلسف تلك التجربة من حيث نشؤ المجتمعات واضمحلالها.

وبالمثل بالنسبة لهانتيجتون ، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وبداية عالم ما بعد الحرب الباردة ، بدأ المفكرون الغربيون في البحث عن مصير الحضارة الغربية. فأشار بول كنيدي في كتابه " قيام وانهيار القوى العظمى " (1) إلى احتمال تخلي القوة الأمريكية عن تفردها بعد سقوط عصر القطبية الثنائية المتمثلة في الولايات المتحدة وروسيا. ويرى كنيدي أن قوة الولايات المتحدة الأمريكية

تتراجع نسبياً ويطالب بأن تتجنب التوسع الإمبريالي الذي يفوق إمكانياتها وقدرتها العقلية ، وعليها أن تصل إلى حل للمعضلة المتمثلة في أن مجموع المصالح والالتزامات الأمريكية القائمة أكبر بكثير من قوتها وقدرتها على الدفاع عنها جميعاً في آن واحد. ولهذا نجد هانتيجتون يتفق مع بول كيندي في مصير الحضارة الغربية فهو يرى أن عصر الهيمنة الغربية سوف يأتي إلى نهايته وفي نفس الوقت سيشهد العالم صعود مراكز قوى أخرى وانبعاث ثقافات غير غربية [2] ويقول أيضاً " ان قوة الغرب بالقياس إلى تلك التي لدى الحضارات الأخرى سوف تستمر في الاضمحلال " [3] .

من خلال شعور كل من ابن خلدون وهانتيجتون بالانحطاط الذي أصاب الحضارة في زمن كل منهما سواء كانت الإسلامية أم الغربية ، وصل كل منهما إلى أن صدام الحضارات هو قانون وليست ظاهرة نكتفي بوصفها فحسب دون تحليلها ، وإن ابتعدا عن بعضهما البعض مسافات طويلة هي نفسها المسافات الفاصلة ما بين صدام الحضارات وحوارها ، حيث أن ابن خلدون نظر إلى الصدام ما بين الحضارات كأحد أهم أوجه إقامة الحوار ما بينهما في قوله " ثم أن القبيل الواحد وإن كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة ، فلابد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى ، وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع ." [4] .

أما هانتيجتون فإنه يرى أن الصراع السابق كان صراعاً بين أطراف غربية – أي داخل الحضارة الغربية ذاتها– واليوم بعد أنتهاء الصراعات وسيطرة الديمقراطية الغربية حان وقت سيطرة هذه الحضارة على العالم وستبدأ هذه الصدمات عند خطوط التماس وفي مناطق التداخل بين الحضارات.

أما عن مفهوم الحضارة فإن ابن خلدون يميز بين العمران البدوي والعمران الحضري[5]. فيقول ان البدو منهم من يقوم على الزراعة ومنهم من يقوم معاشه على العناية بالحيوان وتربيته[6] مقتصرين في هذا النشاط الاقتصادي على الضروري من القوت والملبس والمسكن وسائر الأحوال بحيث لا يتجاوز المقدار الذي يحفظ الحياة ولكن عندما يحصل ما يزيد عن الحاجة والضرورة مثلاً في قوتهم وآنيتهم وملبسهم ومسكنهم وتأنقوا فيه ، فهؤلاء هم أهل الحضر. فالحضارة في رأيه هي " تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية ، وسائر عوائد المنزل وأحواله " فالعمران الحضري في رأيه هو الدرجة العليا من العمران يأتي بعد العمران البدوي " فطور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك " [7].

أما عند هانتيجتون فإن مفهوم الحضارة والثقافة في الغالب يقصد بهما معنى واحد. وما الحضارة إلا ثقافة كتبت بحروف كبيرة [8] حسب تعبيره ، كلاهما يتضمنان " القيم " والمبادئ والمؤسسات وأنماط التفكير والتي تعطي لها الأجيال المتعاقبة في مجتمع ما أهمية أولية. ثم يوسع من مفهومه للحضارة فيرى أن الحضارة تشمل اللغة والتاريخ والديانة والعادات والمؤسسات والتعريف بالكيان الذاتي للشعب [9].

النزعة الإثنية:

هانتيجتون انتهى إلى أن الغرب سابق على الحداثة فهو يقول " الغرب كان الغرب لزمن طويل قبل أن يكون عصرياً. إن الخصائص الجوهرية للغرب

، تلك التي تميزه عن غيره من الحضارات الأخرى سبقت التحديث في الغرب " (10).

ومن ثم فهو قد رسخ من المقولة القديمة أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ، ناقداً مشروع كمال اتاتورك في تغريب تركيا إذ أن الهلينية والرومانية هما دعمتا الجنس الغربي (11). ولذا لن يتمكن أحد مهما بلغ من الحداثية من الالتحاق بركب الغرب المنتصر عرقيا ثم حداثياً فهو يقول " التحديث ، بإيجاز ، لا يعني بالضرورة التمدن على النمط الغربي. ولا كان بإمكان المجتمعات غير الغربية أن تتقدم وأن تحقق التقدم بدون هجر ثقافاتها الخاصة بها وأن تتبنى القيم والمؤسسات والممارسات الغربية كليه. الأخير يمكن أن يكون على الأغلب مستحيلاً. " (12).

ولهذا فهو قد آثار النعرة القديمة حول تفوق الجنس الأبيض وهي نظرة تفوق في تعصبها مقولة فرنسيس فوكوياما حول نهاية التاريخ ، إذ أن نهاية التاريخ عند فوكوياما تبشير سياسي لا يمانع من خلاله من التحاق العالم كله بركب الليبرالية الديمقراطية (13) بما فيه البلدان الإسلامية التي تحكمها الإيديولوجيا الإسلامية التي كما يرى فوكوياما لم يعد لها سحر وقوة كما كانت (14). ولهذا فإن هانتيجتون يحدد عناصر معينة يتميز بها الغرب عن الحضارات الأخرى فهو يقول " الغرب يختلف عن الحضارات الاخرى ، ليس بالطريقة التي تطور من خلالها ولكن بالخصوصية المميزة بقيمه ومؤسساته.

وهذا يتضمن بكل وضوح مسيحيته ، تعدديته ، فرديته ، وحكم القانون والتي جعل إمكانية للغرب أن يخترع الحداثة ، والتوسع في العالم وأصبح محسوداً من المجتمعات الأخرى ، هذه الخصوصية خاصة بالغرب .. خصوصيات جعلت الحضارة الغربية فريدة. " (15)

كما أن هانتيجتون يزيد من إذكاء نار العرقية بإثارة نعرة أخرى وهي أن الصدام ما بين الإسلام والمسيحية هو صدام أبدي وأن المسيحية تنتشر عن طريق الاعتناق بينما الإسلام بالاعتناق والتكاثر السكاني [16]. وإن محمداً وكونفوشيوس قد تحالفا – في نظره– لاعتقادهما أن الغرب هو خصم مشترك [17] مع ملاحظة أن هانتيجتون هنا يستثني (الكنيسة الأرتوذكسية الشرقية) عند حديثه عن المسيحية لأنها شرقية. [18]

أما ابن خلدون فهو يرى أن العصبية هي التي تحفظ التعاضد ما بين أبناء العرق الواحد وتشد من أزرهم فهو يقول " أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل ، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة ، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك. نزعة طبيعية في البشر منذ أن كانوا. "[19].

وإن كثرة العصائب والقبائل ، تحمل على عدم الإذعان والانقياد للدولة ، وبعكس ذلك فإن الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها. ولهذا كما يرى – ابن خلدون – سهل فتح الشام ومصر والعراق وفارس لتباين الأجناس بينهما واضمحلال العصبية بين ساكنيها ، وصعب فتح شمال أفريقيا إذ أن أهلها أولو عصبية وتعصب وصعب على الروم والعرب فتحه.[20]

غير أن ابن خلدون لا يقتصر فقط على العصبية القائمة على رباط الدم – وإن كانت أقواها – بل تشمل أيضاً الولاء والحلف. أما عن دور العصبية عند ابن خلدون فهي تولد أولاً التضامن والقوة في نفس جماعتها إذ أن العصبية " بها

يكون التعاضد والتناصر ، وتعظم رهبة العدو لهم." [21] وهي ثانياً توحد بالقوة بين مختلف العصبيات المتعارضة لتكون جماعة انسانية ضخمة وموحدة.

أما عن فائدة العصبية عند إبن خلدون فهي تظهر في عدة جوانب منها الإقامة والاستقرار ، ويكون للعصبية دور في الحماية حيث يقول إبن خلدون " لا يتوهم العدوان على أحد مع وجود العصبة له."[22] ولهذا كما يرى الجابري [23] أن العصبية تعني أساساً القوة الجماعية التي تمنح القدرة على المواجهة ، سواء كانت المواجهة مطالبة أو دفاعاً ولهذا فهي تبرز عندما يكون هناك خطر يهدد العصبية في مصلحتها المشتركة وهي المصلحة المرتبطة دوماً بأمور العيش.

وعلى الرغم من أن العصبية أو النسب تعمل على الترابط والتوحيد بين أفراد العصبية الواحدة ، أو النسب الواحد ، إلا أنها تعمل في نفس الوقت على التنافر والتباعد بين الجماعات التي لا يربطها نسب واحد أو عصبية واحدة.

وفي هذا يقول ابن خلدون " ان الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله. وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ، ويتعصب لكل منها أهل عصبيته. فإذا تناحروا لذلك وتوافقت الطائفتان إحداها تطلب الانتقام ، والأخرى تدافع ، كانت الحرب. وهو أمر طبيعي في البشر لاتخلو منه أمة ولا جيل."[24]

وكذلك يرى هانتيجتون " أن البشر " يتقاربون مع أولئك الذين من نسب ، ودين ولغة ، وقيم ومؤسسات متشابهة وينأون بأنفسهم عن أولئك المختلفين عنهم في الأمور السابقة.[25] وأيضاً يرى أن الهوية الثقافية ، تحدد مكان الدولة في السياسة الدولية ، وتحدد اصدقاءها وأعداءها.

الطبيعة الإنسانية:

أما عن أسباب العدوان فإن ابن خلدون يرجعه إلى الطبيعة البشرية ، فمن أخلاق البشر " الظلم والعدوان بعضهم على بعض." [26] ولهذا فإن إبن خلدون يصنف العدوان إلى عدوان داخلي أي عدوان الافراد بعضهم على بعض داخل المدينة الواحدة أو أحياء البدو[27] وعدوان خارجي أي يقع من الخارج على المدينة أو على أحياء البدو. ونلاحظ أن إبن خلدون يركز على العدوان الخارجي التي يظهر فيها دور العصبية فهي الرابطة التي من خلالها يتم التعاضد والتلاحم بين أفراد العصبية الواحدة وبها يتم دفاعهم ضد المعتدين عليهم.

أما عن سبب الأنتقام [28] فيرجعه ابن خلدون إما إلى غيرة ومنافسة ، وإما عدوان ، وإما غضب لله ولدينه ، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده.

نلاحظ النزعة الشريرة التي تكلم عنها ابن خلدون هي نفسها التي نجدها عند هانتيجتون حيث يرى هانتيجتون أن الطبيعة الإنسانية شريرة وليست خيرة ، وإن الذي يحكم العلاقات بين الأفراد هو الكراهية من أجل التحديد بالهوية. وإن البشر في حاجة إلى أعداء.[29] ولهذا نجد أن النزعة العدائية عند هانتيجتون هي السبب في الصدام بين الحضارات لأن النزعة العدائية هي التي أزالت الثقة بين الأفراد ، وبالتالي سيتوقع البشر أخطاراً من أولئك الذين يختلفون عنهم ولديهم القدرة على الضرر بهم. والصراع والنزاع في رأيه ليس قاصراً على جهة ما دون الأخرى ، فالعالم فوضوي [30] حافل بالنزاعات القبلية والقومية ولكن الصراعات التي تكون أخطاراً عظيمة على الاستقرار هي التي تقع بين الدول أو الجماعات من حضارات مختلفة فستكون نادرة.

والنزعة الإثنية أو العرقية التي.انطلق منها صموئيل هانتيجتون ، هي نفسها (العصبية) أي الظاهرة الأبرز عند إبن خلدون في إقامة الدولة وحركة المجتمع من طور البداوة إلى طور التمدن وسيادة حضارة على أخرى تفادياً لشظف العيش كما أنها القوة اللازمة للقبيلة الأقوى والأقدر على إخضاع باقي القبائل ، ولهذا فإنني أعتبر أن ابن خلدون مسكون بفكرة الصراع متعصب لرأيه بأن التنازع هو الذي يحدث الحركة بالضرورة والتي تقوم على التعصب اللاعقلاني الذي جبل عليه البشر: "فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا." (31)

الدين:

إبن خلدون لا يركز على العصبية وحدها في التأثير على الجماعة الواحدة ، ولكنه يطرح فكرة الدين باعتبار أن الدين له أيضاً دور في حركة التاريخ. ويرجع إبن خلدون إلى التاريخ العربي فيرى بأنه لما كان العرب من الأمم الوحشية ، مالوا الى الاستطالة لتوسيع ملكهم فإنه " إذا كانت الأمة وحشية كان ملكها أوسع. "(32) ولهذا فإنهم دخلوا شمال أفريقيا من باب الدين ، وهو ثقافة وحضارة جاءت لتحل محل حضارة أخرى ، فإن " العرب لا يحصل فيهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية ، أو أثر عظيم من الدين على الجملة.(33)

ومن هنا ففي رأيي أنه يوجد اختلاف بين ابن خلدون وهانتيجتون حول صدام الحضارات ، إذ أن هانتيجتون يفصل بين الثقافي والإيديولوجي ، بمعنى أن إختفاء الصراع الإيديولوجي السياسي حل محله صراع متعدد هو الصراع الحضاري ، ويقول في هذا المعنى " أن في عالم ما بعد الحرب الباردة ، تشكل الثقافة عاملاً حاسماً وموحداً في آن واحد. الشعوب التي تفصلها الإيديولوجيا

ولكن توحدها الثقافة تلتقي معا على طريق واحد " بينما نجد أن ابن خلدون يؤكد على أن التعامل الثقافى أو الحضاري (الدين) يعضد من السياسي (القبيلة ثم الدولة بعد ذلك) يقول " أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها.[35] فالدين في رأي ابن خلدون له تأثير مماثل لتأثير العصبية في جميع القبائل ، وتاليف كلمتهم ، وحملهم على التعاضد الذي يضمن الغلبة والملك. وإن " الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتماسك الذي في أهل العصبية ، وتفرد الوجهة إلى الحق. "[36] وإن أقوى الدول وأوسعها ، إنما تتكون بإنضمام الدعوة الدينية إلى قوة العصبية.

إلا أن الدولة الخلدونية محددة ببيئة وتقاليد وقيم تحددها (العصبية). فالعصبية العربية وان تمدن حاملوها إلا أنها مرتبطة بالبداوة " فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما لأن أول مطالب الإنسان الضروري ولا ينتهي إلى الكمال والترف ، إلا إذا كان الضروري حاصلاً. فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة.[37]

ولهذا نجد ابن خلدون يفضل ساكني البادية على ساكني المدن لأنهم " أقرب إلى الخير من أهل الحضر."[38] وهم أيضاً "أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر."[39] وما دفعهم إلى المدنية الهروب من شظف العيش فهم أي أهل البادية أبعد الناس عن الصنائع التي تبنى عليها المدن.

ولهذا فما أن يتبوأ الحاكم كرسي الملك ويدرك أهمية الامتداد الحضاري يحاول التنصل من أهل عصبيته ليلجأ إلى موالي النعمة وصنائع الاحسان وهم ليسو من أهل لحمته " فإذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد منهم والأنفراد

بالمجد ودافعهم عنه بالراح ، صاروا في حقيقة الأمر بعض أعدائه ، وأحتاج في مدافعتهم عن الآمر وصدهم عن المشاركة ، إلى أولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم."[40] وهم الموالي والصنائع الذي يسوق إبن خلدون أمثلة لهم في مقدمته كالموالي الاتراك والبرامكة في الدولة العباسية.[41]

إلا أن ابن خلدون يرى في تنصل الحاكم عن أبناء عصبيته وتحرره من آثار العرق والتحرر من علوم وصنائع يجيدها أبناء جلدته كل هذه الأشياء تؤدي لا محالة إلى انهيار الدولة. " إن الدولة لا محالة سائرة إلى الفناء والاضمحلال."[42]

الاقتصاد:

وتتوالى مظاهر هذه النزعة الصراعية عند ابن خلدون في حديثه عن دور الاقتصاد ، فهو يقول " اعلم أن مبنى الملك على أساسين لابد منهما : فالأول: الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند ، والثاني : المال الذي هو قوام أولئك الجند وإقامة ما يحتاج إليه الملك والأحوال. والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسين."[43] فالاقتصاد له دور بين القبائل ، فالقبيلة السائدة والأقوى هي التي تمتلك موارد رزق وعيون مياه أوفر ، ولهذا كان لها السيادة والغلبة على ما عداها من القبائل التي قد تستظهر بها إن هي ضعفت ، ولهذا فهو يبرز دور العامل الاقتصادي في إظهار هيبة الدولة. فالترف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها[44] وبذلك تهيب الدول المجاورة منها إذ تقع هيبتها في نفوسهم فيحذروها ولا يحاولوا غزوها. لهذا فرض إبن خلدون في أبواب وفصول مقدمته بالحديث والتحليل عن الاحتكار – الفلاحة – التجارة – المعاش – التمويل – العقار – المكوس والجباية – الأسعار – الاسواق وغيرها من موارد الرزق والتجارة.

ولهذا فإن ابن خلدون يرى أن الاقتصاد وان كان من العوامل المهمة لقيام الدولة (الحضارة) إلا أنه سرعان ما يتحول إلى عامل هدم إذ يقود الى الترف والدعة والفساد[45] فيتحول من ثم حراس الثغور إلى المدن للمشاركة في الغنائم ، ويطمع من ثم الأعداء في غزو الدولة ، كما إنه من ناحية أخرى تكسد الأسواق وتفقر رؤوس الأموال وتزداد المكوس والجبايات على الافراد مما يسبب ثورتهم على الحاكم وتهديد أمن الدولة." فمن عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم."[46] وهكذا فإن الاقتصاد يزيد من إذكاء نار (الصدام) بين الحضارات أي بين الدول سواء كان ذا فائدة في إظهار هيبة الدولة (ومن ثم هيمنة حضارتها) أو كان ذا مضرة إذ أن انهيار الدولة يتبعه حتماً غزو لدولة أخرى بحضارة أخرى.

وهنا نلاحظ أوجه التشابه مع هانتيجتون الذي لم يتجاهل أيضاً اهمية العامل الاقتصادي في الصراع بين الحضارات. فالعامل الاقتصادي والعسكري والسياسي في رأيه له دور في إزدهار حضارة ما. فالزيادة في القوة الاقتصادية والعسكرية في رأيه ينتج ثقة في النفس واعتقاداً بأفضلية وتفوق تلك الثقافة على الثقافات الأخرى. في حين أن التدهور في القوة الاقتصادية والعسكرية يؤدي إلى الشك في الذات وأزمة الهوية. ومع ذلك فإن الثقافة غالباً ما تتبع القوة ، حيث إن توزيع الثقافات في العالم يعكس توزيع القوة. وبذلك فإن هانتيجتون يفرق بين نوعين من القوة[47]. ففي رأيه هناك القوة الجافة وهي القوة الاقتصادية والعسكرية ، والقوة اللينة وهي القوة الثقافية والأيديولوجية. وبهذا فإن القوة الجافة (أي الاقتصادية) في رأيه تتبعها حتماً قوة لينة (أي القوة الثقافية). وهذا ما يقول به إبن خلدون " وعلى قدر عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة ،

إذ أمور الحضارة من توابع الترف ، والترف من توابع الثروة والنعمة ، والثروة والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولي عليه أهل الدولة ، فعلى نسبة الملك ، يكون ذلك كله."[48]

ولكن ابن خلدون يصل من خلال الربط بين الحضارة والترف إلى حتمية سقوط تلك الحضارة لأن " غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات"[49] . وإذا وصلت الحضارة إلى مرحلة الهرم فلا سبيل إلى إنقاذها حيث إن " الهرم من الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها ، لما أنه طبيعي ، والأمور الطبيعية لا تتبدل." [50]

أما بخصوص هانتيجتون ففي رأيي لم يحسم مشكلة انهيار الحضارة الغربية فهو لديه شعور بأن هناك أزمة تمر بها الحضارة الغربية وهي الاضمحلال في قوة الغرب والرغبة في فرض القيم الغربية حول حقوق الإنسان والليبرالية والديمقراطية الغربية على الحضارات الأخرى ، في حين أن الحضارات الأخرى وهي التي يسميها بالحضارات المتحدية خاصة الكونفوشيوسية والإسلامية – وهي التي تقلق هانتيجتون – تحاول أن توسع من قوتها الاقتصادية والعسكرية حتى تقاوم وتعمل على توازن ضد الغرب ، ولهذا فهو يقول بأن الحضارة الغربية تمر بفترة " انهيار تدريجي وغير منظم والذي بدأ في أوائل القرن العشرين ويمكن أن يستمر لعقود وربما للقرون القادمة "[51] ، ويقول أيضاً " ان العالمية الغربية خطيرة على العالم وعلى الغرب في آن واحد. فهي خطيرة على العالم لأنها يمكن أن تؤدي إلى حرب حضارية متبادلة كبرى بين الدول الأساسية ، وهي خطيرة على الغرب لأنها ستؤدي إلى هزيمة الغرب

أمام المجتمعات الأخرى التي بدأت تكسب القوة " [52] . ولكنه يستدرك ويضيف بأن بإمكان الغرب أن يتفادى هذا السقوط في حالة دخوله في " فترة إعادة إحياء تعاكس انهيار تأثيره في العالم وتؤكد موقعه كقائد تتبعه وتقلده الحضارات الأخرى"[53] إلا أنه لم يوضح الكيفية التي يتم بها معالجة وتفادي هذا الركود الحضاري. ولهذا فمن وجهة نظري أن تفسير السقوط الحضاري عند ابن خلدون يتمشى مع الأسس التي بنى عليها نظريته على خلاف هانتيجتون الذي لا يريد أن يؤكد على حتمية سقوط الحضارة الغربية رغم اعترافه الضمني بذلك.

الهوامش

1. بول كيندي ، قيام وانهيار القوى العظمى ، (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، مصراته ، 1993).
2. هانتيجتون ، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، ترجمة مالك أبو شهيوة ، ود.محمود محمد خلف (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، مصراته ، 1999) ، ص190.
3. نفس المصدر السابق ، ص169.
4. إبن خلدون ، المقدمة ، دار الشعب ، القاهرة ، د.ت ،ص126.
5. نفس المصدر السابق ، ص110.
6. نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة السابقة.
7. نفس المصدر السابق ، ص154.
8. نفس المصدر السابق ، ص103.
9. نفس المصدر السابق ، ص105.
10. نفس المصدر السابق ، ص149.
11. نفس المصدر السابق ، ، نفس الصفحة السابقة.
12. نفس المصدر السابق ، ص163.
13. فرنسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ ، ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشيخ ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1993 ، ص61.
14. نفس المصدر السابق ، ص62.
15. هانتيجتون ، نفس المصدر السابق ، ص518.
16. نفس المصدر السابق ، ص142.

17. نفس المصدر السابق ، ص142.
18. نفس المصدر السابق ، ص335.
19. أبن خلدون ، المقدمة ، ص117.
20. أبن خلدون ، المقدمة ، ص147.
21. نفس المصدر السابق ، ص117.
22. نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة السابقة.
23. محمد عابد الجابري ، العصبية والدولة (دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، الطبعة الرابعة ، 1984) ، ص257.
24. أبن خلدون ، المقدمة ، ص241.
25. هانتيجتون ، صدام الحضارات ، ص238.
26. أبن خلدون ، المقدمة ، ص116.
27. نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة السابقة.
28. نفس المصدر السابق ، ص241.
29. هانتيجتون ، صدام الحضارات ، ص245.
30. نفس المصدر السابق ، ص93.
31. أبن خلدون ، المقدمة ، ص117.
32. نفس المصدر السابق ، ص131.
33. نفس المصدر السابق ، ص136.
34. نفس المصدر السابق ، ص75.
35. نفس المصدر السابق ، ص142.
36. نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة السابقة.
37. أبن خلدون ، المقدمة ، ص112.

38. نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة السابقة.
39. نفس المصدر السابق ، ص114.
40. نفس المصدر السابق ، ص164.
41. نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة السابقة.
42. نفس المصدر السابق ، ص262.
43. نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة السابقة.
44. نفس المصدر السابق ، ص156.
45. نفس المصدر السابق ، ص127.
46. نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة السابقة.
47. هانتيجتون ، صدام الحضارات ، ص184.
48. أبن خلدون ، المقدمة ، ص156.
49. نفس المصدر السابق ، ص336.
50. نفس المصدر السابق ، ص262.
51. هانتيجتون ، صدام الحضارات ، ص169.
52. نفس المصدر السابق ، ص517.
53. نفس المصدر السابق ، ص504.